

بين الصمود والمقاومة بين الأزمة والمعاناة. وتتوالى الأحداث إلى أن يقتحم جنود استعماريون دارها ويعتدي بعضهم على عرضها، وتترك مشردة في العراء. ولم تكن رقية نموذجاً للمرأة المومس بطبيعتها، بل إحدى ضحايا الفعل الاستعماري الذي حاول أن يستلب إنسانية الإنسان من الجزائر، ويرمز هذا الحدث إلى بشاعة المستعمر وهمجيته وهو إداة للوجود الاستعماري.

ثم تلقى رقية "بالحركي" في الجبل فيقدم لها العون فينزوج منها ويتبنى بنتها، ويرزق منها بولد، وكانت هي تعتقد باستشهاد زوجها كما كان هذا الأخير يعتقد ميتها.

وقد استطاعت هذه المرأة أن تكون محور الأحداث، فامتزجت بالجزائر. وهذه السقاة ذكية من المؤلف حيث ينتصر للوطنية حين يكشف عن الموقف العدائي لأبناء القرية من الحركي ومن أسرته فقد رجما الزوج، وفرضوا حصاراً وعزلة على أسرته.

وتعود رقية للظهور لما أراد البشير الاستعانة بعجوز لطهي الطعام وتنظيف المدرسة، ولا يتم اللقاء بين الزوجين إلا بعد موت ابنتها فريدة، ويتكفل هو بدفنها وعندما تراه رقية يغمر عليها. ذلك أن فريدة هي الرابطة بينهما، وهي الرابط بين ماضي تولى ومستقبل آت، وبموتها يموت الماضي المجيد والمرغوب فيه ليسيطر الحاضر الأليم.

لقد زواج ابن هدوقة بين رقية والجزائر فكلاهما عانى من الصعاب نفسها ولهذا وضع الروائي نهايتين لعمله هذا، نهاية عادية حيث يلتقي الزوجان، ونهاية مفتوحة بارتحال البشير عن القرية لينشر العدل بين أهل القرى الأخرى. فقد وقف ابن هدوقة لإثارة العطف والحنان عند القارئ تجاه رقية التي تمثل محور الحدث الروائي، فهي صورة للمرأة الجزائرية أثناء الاحتلال، عاشت عيشة كلها معاناة وحرمان لقسوة المستعمر وبطشه وعبثه، ولغياب الأمان والحماية والزوج، ومع ذلك فإنها في الاستقلال امرأة مواكبة لتحولات المجتمع الجزائري في التشييد والبناء.

أما رواية "ريح الجنوب" فقد قدمت صورة عن المرأة أكثر نضجاً من خلال تلك الأبعاد الجمالية التي وظفها الروائي لصالح المرأة ليرصد توجهها ضمن علاقات اجتماعية تحكمها قوانين قاهرة تخبئ المرأة، إذ لا يمكن أن نقف على صورة نفيسة إلا بالرجوع إلى أمها كما رسمها الروائي، فهي امرأة خاضعة تلبي رغبات زوجها دون تملل وضجر أو إحساس بالإهمال، وقد نقل